

تفسير ابن كثير

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ^ج غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ ^ج كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ^ج وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ^ج كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْمَحْرَبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ^ج وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ^ج وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

يخبر تعالى عن اليهود - عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة - بأنهم وصفوا الله عز وجل وتعالى عن قولهم علوا كبيرا ، بأنه بخيل . كما وصفوه بأنه فقير وهم أغنياء ، وعبروا عن البخل بقولهم : (يد الله مغلولة) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو عبد الله الطهراني ، حدثنا حفص بن عمر العدني ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة قال : قال ابن عباس : (مغلولة) أي : بخيلة . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : (وقالت اليهود يد الله مغلولة) قال : لا يعنون بذلك أن يد الله موثقة ولكن يقولون : بخيل أمسك ما عنده ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا . وكذا روي عن عكرمة وقتادة والسدي ومجاهد والضحاك وقرأ : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) [

الإسراء : 29] . يعني : أنه ينهى عن البخل وعن التبذير ، وهو الزيادة في الإنفاق في غير محله ، وعبر عن البخل بقوله : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) . وهذا هو الذي أراد هؤلاء اليهود عليهم لعائن الله . وقد قال عكرمة : إنها نزلت في فنحاص اليهودي عليه لعنة الله . وقد تقدم أنه الذي قال : (إن الله فقير ونحن أغنياء) [آل عمران : 181] فضربه أبو بكر الصديق رضي الله عنه . وقال محمد بن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال : قال رجل من اليهود يقال له : شاس بن قيس : إن ربك بخيل لا ينفق ، فأنزل الله : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقد رد الله عز وجل عليهم ما قالوه ، وقابلهم فيما اختلقوه وافتروه واتفكوه ، فقال : (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) وهكذا وقع لهم ، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم ، كما قال تعالى : (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله [فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا]) [النساء : 53 - 55] وقال تعالى : (ضربت عليهم

الدلة [أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس] (الآية [آل عمران : 112]
ثم قال تعالى : (بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء) أي : بل هو الواسع الفضل ،
الجزيل العطاء ، الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه ، وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه
وحده لا شريك له ، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه ، في ليلنا ونهارنا ، وحضرنا
وسفرنا ، وفي جميع أحوالنا ، كما قال [تعالى] (وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار) الآية [إبراهيم : 34] . والآيات في هذا
كثيرة ، وقد قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن همام بن
منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن يمين
الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات
والأرض ، فإنه لم يغيض ما في يمينه " قال : " وعرشه على الماء ، وفي يده الأخرى
القبض ، يرفع ويخفض " : قال : قال الله تعالى : " أنفق أنفق عليك " أخرجاه في
الصحيحين ، البخاري في " التوحيد " عن علي ابن المديني ، ومسلم فيه عن محمد بن
رافع وكلاهما عن عبد الرزاق به . وقوله : (وليزیدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك

طغيانا وكفرا) أي : يكون ما أتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم ، فكما يزداد به المؤمنون تصديقا وعملا صالحا وعلمنا نافعا ، يزداد به الكفرة الحاسدون لك ولأمتك (طغيانا) وهو : المبالغة والمجازة للحد في الأشياء (وكفرا) أي : تكذبا ، كما قال تعالى : (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) [فصلت : 44] وقال تعالى : (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) [الإسراء : 82] . وقوله : (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) يعني : أنه لا تجتمع قلوبهم ، بل العداوة واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائما لأنهم لا يجتمعون على حق ، وقد خالفوك وكذبوك . وقال إبراهيم النخعي : (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء) قال : الخصومات والجدال في الدين . رواه ابن أبي حاتم . وقوله : (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) أي : كلما عقدوا أسبابا يكيدونك بها ، وكلما أبرموا أمورا يحاربونك بها يبطلها الله ويرد كيدهم عليهم ، ويحقيق مكرهم السيئ بهم . (ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين) أي : من سجيتهم أنهم دائما يسعون في الإفساد في الأرض ،

والله لا يحب من هذه صفته .